

نظام الحمى

تابرت جمعية حماية الطبيعة في لبنان SPNL منذ تأسيسها عام 1986 (www.spnlb.org) على مناصرة إنشاء المناطق المحمية، حيث بادرت مع وزارة البيئة بتنفيذ عدة مشاريع لإنشاء مناطق محمية في لبنان. وبمرور عشرين سنة من الخبرة التي اكتسبتها الجمعية خلال عملها في نطاق المحميات الطبيعية مع عدة مؤسسات حكومية، ومع بروز ظروف جديدة على المستويات المحلية، والقومية، والدولية تدعو إلى ضرورة إنشاء إدارة مشتركة للموارد الطبيعية، أطلقت جمعية حماية الطبيعة في لبنان SPNL مبادرة إعادة إحياء ومناصرة ممارسة نظام الحمى الذي ساد في المنطقة العربية خلال الألف وخمسمائة سنة الماضية.

نظام الحمى هو نظام تقليدي للمناطق المحمية يهدف إلى تحقيق الاستخدام المستدام للموارد الطبيعية على يد المجتمعات الأهلية المحيطة بالحمى ولمصلحتها. يساهم هذا النظام في المحافظة بشكل غير مباشر على التنوع البيولوجي، علاوة على الإرث الطبيعي والثقافي للمنطقة. تاريخياً، كان الزعماء القبليون في المنطقة العربية يطبقون نظام الحمى، ثم انتقلت هذه المسؤولية لاحقاً إلى القيادات الروحية بغية تأمين الفوائد للمحتاجين ضمن المجتمعات المحلية ولدى القبائل. عقب ذلك، تم تحويل هذه المسؤولية إلى البلديات وغيرها من الهيئات المنتخبة ديمقراطياً في دول الشرق الأدنى، كلبنان. ساهم هذا التحويل في تأمين المساواة والإنصاف في استخدام الموارد مع المحافظة على استدامة الموارد الطبيعية للحمى. أهملت معظم دول الشرق الأوسط موضوع نظام الحمى خلال الخمسين سنة الماضية وشهدت المنطقة تبني أنظمة أخرى من المناطق المحمية التي تديرها هيئات حكومية.

بادرت جمعية حماية الطبيعة في لبنان SPNL عام 1994 بإطلاق برنامج المناطق المهمة للطيور، حيث حددت الجمعية والمجلس العالمي لحماية الطيور BirdLife International أربعة مواقع هي: الأراضي الرطبة في عميق، ومحمية أرز الشوف الطبيعية، ومحمية حرش إهدن الطبيعية، ومحمية جزر النخيل الطبيعية في طرابلس كمناطق مهمة للطيور. بناءً للابحاث العلمية التي تنفذها جمعية حماية الطبيعة في لبنان بالشراكة مع مؤسسة أروشا لبنان، من خلال مشروع يمتد على فترة ثلاث سنوات (2005-2007)، تم تحديد خمس مناطق مهمة للطيور إضافية (حمى ابل السقي، حمى مستنقعات كفر زبد، محمية أرز تنورين الطبيعية، بحيرة القرعون، وقاع الريم). وإذ يتمثل الهدف النهائي لبرنامج المناطق المهمة للطيور في الحفاظ على هذه المواقع، إلا أنه من الممكن الحفاظ على بعض المناطق المهمة للطيور من خلال تطبيق نظام الحمى نفسه، أي نظام المحافظة على الطبيعة القائم على أساس مشاركة المجتمعات المحلية.

بسبب تحديد مشاركة المجتمعات المحلية في النظام المركزي الحكومي للمحميات الطبيعية، والذي نتجت عنه فوائد محدودة لمجموعات المجتمع المحلي، تأمل جمعية حماية الطبيعة في لبنان SPNL بأن تكسب دعماً محلياً أقوى لإحياء ممارسة نظام الحمى كنظام مفيد ومجد اقتصادياً وقابل للاستدامة ومكتمل للمحميات الطبيعية. من المتوقع في نهاية المطاف ان يؤدي الانخراط المتزايد للمجتمعات المحلية في فوائد الحمى المباشرة الناتجة عن الحماية إلى تحسين وضع الموارد الطبيعية بالذات.

يتمثل الهدف العام لمبادرة استعادة نظام الحمى في الربط بين الممارسات التقليدية والعلوم الحديثة للمحافظة على الطبيعة بصفتها وسيلة لتحقيق التنمية المستدامة. منذ عام 2004، أعادت جمعية حماية الطبيعة في لبنان SPNL إحياء نظام الحمى بالتنسيق مع البلديات في ثلاث مناطق رئيسية للتنوع البيولوجي هي: حرج إبل السقي في جنوب لبنان، والأراضي الرطبة في كفر زبد في منطقة البقاع، وحمى القليلة البحري في جنوب لبنان.

تعتبر مستنقعات عميق من أهم الأراضي الرطبة العذبة المتبقية في لبنان، والنادرة على مستوى الشرق الأوسط، وهي تمثل مثلاً آخر عن إعادة تطبيق مفهوم الحمى. كانت هذه المنطقة المهمة كمحطة للطيور المهاجرة تعاني سابقاً من مخاطر عديدة. كما بادرت مؤسسة أروشا لبنان Arocha Lebanon (<http://en.arocho.org/lebanon/>) منذ عام 1996، بتنفيذ برامج الحفاظ على الطبيعة في أراض خاصة، بمشاركة مجتمعات أهلية ومجموعات دينية في البقاع الغربي. وكذلك سعت على المستوى الوطني إلى إشراك مجتمعات أهلية دينية في نشاطات الحفاظ على الطبيعة والإدارة المستدامة للموارد الطبيعية. خلال هذه الفترة، عملت جمعية أروشا لبنان بالتنسيق مع أصحاب الأراضي الخاصة في مستنقع عميق عبر استخدام مبادئ الحمى مما أدى إلى حماية وإعادة تأهيل هذه الأراضي الرطبة ذات الأهمية الكبرى على المستوى الدولي. يعتبر هذا المشروع فريداً من نوعه في لبنان حيث يمثل التعاون بين أصحاب الأملاك الخاصة ومنظمة غير حكومية NGO في إنشاء أول منطقة حمى خاصة في البلاد، والمعلنة على لائحة رامسار للأراضي الرطبة المهمة عالمياً.

لماذا نظام الحمى؟

يقدم نظام الحمى مقارنة يمكن من خلالها ربط مفهوم الحفاظ على الطبيعة مع المجتمع المحلي. يتم تحديد المناطق المهمة للطيور على أساس البيولوجيا والجغرافيا، ولا يعني إعلان منطقة ما منطقة مهمة للطيور أن هذا الموقع يجب أن يكون محمياً بموجب أي نظام رسمي. كما أن لائحة المناطق المهمة للطيور لا تشمل بحد ذاتها خطة محددة للحفاظ على الطبيعة.

لن يكون عملياً أو مرغوباً به في لبنان تعيين كل منطقة مهمة للطيور منطقة محمية رسمية. فتقييدات الموارد المتاحة، وتداخل ملكيات الأراضي، وأكلاف الفرص البديلة للاستفادة من موارد الأراضي المنتجة زراعياً تجعل ذلك الأمر صعباً. علاوة على ذلك، قد لا يكون الإعلان الرسمي لمنطقة محمية

بالضرورة أكثر المقاربات الفعالة للحفاظ على الموقع، وخاصة حيث يعيش العديد من البشر ضمن و/أو يستخدمون منطقة مهمة للطيور. وفي الواقع، وفي حالات معينة، من المحتمل ان يؤدي التعيين الرسمي لمنطقة ما على أنها محمية إلى نتائج عكسية لأهداف الحفاظ على الطبيعة، وبشكل خاص عندما تُقيد قوانين المحمية الطبيعية الرسمية الممارسات التقليدية المستندة إلى استعمال الأراضي والموارد الطبيعية بصورة تتوافق مع، أو تساهم في، تعزيز القيمة البيولوجية لموقع ما.

في مثل هذه الظروف، يصبح لازماً اقتراح مقاربات بديلة لتحقيق هدف حماية المناطق المهمة للطيور. وقد تشمل هذه المقاربات مناطق الحفاظ على الطبيعة بإدارة المجتمع المحلي، أو محميات خاصة عبر اتفاقات طوعية مع أصحاب الأراضي، أو القبائل والعشائر، أو المجموعات الدينية. يمكن تصنيف هذه الوسائل "حمى"؛ وبذلك، يصبح الحمى نظاماً مُكملاً لفئة المحميات الطبيعية.



حمى مستنقعات كفر زبد (عبر موظفي جمعية حماية الطبيعة في لبنان)

في حالات عديدة، قد تكون المقاربة المتعلقة بنظام الحمى ذات كلفة اقتصادية فعالة، وتساعد في استقطاب دعم موارد أخرى غير متوفرة للمحميات الطبيعية الرسمية. كما يمكن ان يؤمن نظام الحمى فرصاً أعظم للاستخدام البشري المستدام للموارد الطبيعية، وبذلك يساهم بدرجة اكبر في التخفيف من حدة الفقر لدى الناس الذين تُشكل الموارد الطبيعية لهم مكوناً أساسياً من استراتيجيات معيشتهم.

نوقشت مبادرة جمعية حماية الطبيعة في لبنان في إعادة إحياء مفهوم الحمى في الاجتماع الاقليمي لشركاء المجلس العالمي لحماية الطيور في عمان عام 2005، وتمّ التوافق على اعتماد هذا المفهوم كوسيلة لحماية المناطق المهمة للطيور. كما تم مناقشة مفهوم الحمى التقليدي بشكل معمق أكثر خلال عام 2006، نتج عنها مسودة استراتيجية للمتابعة؛ وذلك ضمن: الاجتماع الاقليمي لشركاء المجلس العالمي لحماية الطيور في اليمن، والمؤتمرات والدورات التدريبية التي عقدت في سوريا والشارقة.

وبشراكة مميزة ضمت جمعية حماية الطبيعة في لبنان، المجلس العالمي لحماية الطيور، التجمع العالمي لحماية الطبيعة، الوكالة السويسرية للتنمية والتعاون، وزارة البيئة، الجمعية الملكية لحماية الطبيعة، ومؤسسة هانس زايدل الألمانية أدت إلى تحقيق تنظيم ورشة اقليمية في لبنان في شهر آذار 2007. هدفت هذه الورشة الاقليمية التي شارك فيها خبراء على المستوى الاقليمي والعالمي إلى تحديد العلاقة بين مفهوم الحمى، حماية الطبيعة، وتخفيف مستوى الفقر في القرن الواحد والعشرين.